يحتمل انهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان احرى الاماكن بالاجابة فدعوا بعد ذلك الدعا
ليجعلا ذلك سنة ويقتدى بهما فيما بعدهما في ذلك الدعا لان ذلك المكان هو موضع التنصل
من الذنوب وسوال التوبة والمغفرة من الله تعالى قوله عز وجل ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يعني
وابعث في الامة المسلمة والذرية وهم العرب من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقوله
رسولا منهم يعني ليدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه
ومولده ومنشاه كان اقرب الى القبول قوله ويكون اشفق عليهم من غيره واجمع المفسرون
على ان المراد بقوله رسولا منهم محمدا صلى الله عليه وسلم لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته
وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به صلى الله عليه وسلم
وروى البغوى باسناده عن العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله
مكتوب خاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم باول امري انا دعوة ابراهيم وبشارة
عيسى ورويا امي التي رات حين وضعتني وقد خرج لها نور ساطع اضات لها منه قصور الشام وقوله
لمنجدل في طينته معناه انه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح واراد بدعوة
ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعا ابراهيم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم
في اخر الزمان وانقذهم به من الكفر والظلم واراد ببشارة عيسى [illegible]
الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد يتلوا عليهم [illegible]
البين القران وهو الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم لان الذي كان يتلو عليهم هو القران
فوجب حمله عليه ويعلمهم الكتاب يعني معاني الكتاب وحقايقه لان المقصود الاعظم تعليم ما في
القران من دلايل التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى اولا امر التلاوة وهو حفظ
القران ودراسته ليبقى مصونا عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقايقه واسراره والحكمة
اي ويعلمهم الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل ولا يسمى الرجل حكيما الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل
الحكمة التي ترد عن الجهل والخطا وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة في القول والعمل ووضع كل
شي موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشيا بحقايقها واختلف المفسرون في المراد في الحكمة ههنا فروى
ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة
هي السنة وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه بالحكمة فوجب ان
يكون المراد بها شيا اخر وليس ذلك الا السنة وقيل الحكمة هو العلم باحكام الله التي لا يدرك علمها
الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل
وقيل هي معرفة الاحكام والقضا وقيل هي فهم القران والمعنى ويعلمهم ما في القران من الاحكام
والحكمة ما فيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك او دعتك الى مكرمة
او نهتك عن قبيح فهي حكمة ويزكيهم اي ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وسائر الارجاس
والرذايل والنقايص وقيل يزكيهم من التزكية اي يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبيا
بالبلاغ ثم ختم ابراهيم الدعا بالثنا على الله تعالى فقال انك انت العزيز الحكيم قال ابن عباس
العزيز الذي لا يوجد مثله وقيل هو الذي يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذي لا تناله الايدي
وقيل العزيز القوي والعزة القوة ومنه قولهم ارض عزاز اي صلبة قوية الحكيم اي العالم الذي لا يخفى

عليه

عليه خافية وقيل هو العالم بالاشيا واجراها على غاياتها لاحكامه قوله عز وجل ومن يرغب عن ملة
ابراهيم الا من سفه نفسه سبب نزول هذه الاية ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه الى الاسلام مهاجرا وسلمة
وقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به
فقد اهتدى ومن لم يومن به فهو ملعون واسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله تعالى ومن
يرغب عن ملة ابراهيم اي يترك دينه وشريعته وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركي العرب لان
اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم من بني اسرايل وهو يعقوب
ابن اسحاق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسماعيل بن ابراهيم واذا كان كذلك كان
ابراهيم هو الذي طلب بعثة هذا الرسول في اخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذي
هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى يرغب عن ملة ابراهيم اي يترك دينه وشريعته
يقال رغب في الشي اذا اراده ورغب عنه اذا تركه الا من سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل
اهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الراي
فكل سفيه جاهل وكل من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف بان الله خالقها وقد جا من
عرف نفسه فقد عرف ربه بالعجز والقدرة والقوة والبقا ويدل على هذا ان الله تعالى
اوحى الى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفني فقال يا رب فكيف اعرف نفسي وكيف
اعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف والفنا واعرفني بالقوة والقدرة والبقا
ولقد اصطفيناه اي اخترناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين يعني الفايزين وقيل مع الانبيا
في الجنة اذ قال له ربه اسلم اي استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبيا
انما نشيوا على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس وذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله
بالكواكب والشمس والقمر واطلاعه على امارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك
قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين اي قال ابراهيم خضعت بالطاعة واخلصت
العبادة لمالك الخلايق ومدبرها ومحدثها وقيل معنا اسلم اخلص دينك وعبادتك لله تعالى
واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات الجوارح وان ابراهيم كان
مومنا بقلبه عارفا بالله فامره الله ان يعمل بجوارحه وقيل معناه اسلم نفسك الى الله تعالى
وفوض امرك اليه قال اسلمت اي فوضت امري لرب العالمين قال ابن عباس وقد حقق ذلك
حيث لم يستعن باحد من الملايكة حين القي في النار قوله عز وجل ووصى بها ابراهيم بنيه
يعني بكلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله وقيل هي الملة الحنيفية وكان لابراهيم ثمانية اولاد اسماعيل
وامه هاجر القبطية واسحاق وامه سارة ومدين ومداين ونقشان وزمران ويشبق وشوح
وامهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة **فان قلت**
لم قال ووصى بها ابراهيم بنيه ولم يقل امرهم **قلت** لان لفظ الوصية اوكد
من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفي ذلك الوقت يكون احتياط الانسان
لدينه اشد واعظم وكان اهم الحقوق وصيته اقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل
على بنيه اكثر من شفقته على غيرهم وقيل لانهم كانوا ايمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحا لغيرهم
ويعقوب اي ووصى يعقوب بمثل ما وصى بها ابراهيم يعقوب لانه والعيص كانا توامين في بطن واحد

١٩

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)